الأحد 29/12/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

العمل والحركة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

إذا نزلت بالعبد نازلة أو حلت به شدة أو أحاطت به مصيبة وبلية ينبغي عليه أن يقرع باب سيده رب العالمين –جل جلاله– وقد جعل الله لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب، وأحسننا من قرع الأبواب كلها فإذا لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فببعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

بابنا في هذا اليوم تحت عنوان **العمل والحركة**.

من يعمل في الشدة والبلية والمصاب فهو يقرع باباً من أبواب الفرج، ومن يجلس ويكسل ويخنع ويستسلم ولا يتحرك فإنه يزيد البلية والشدة.

الطالب الذي لا يدرس في أثناء الأزمة يزيد الأزمة.

الأب الذي لا ينفق على أولاده في أثناء الأزمة يزيد الأزمة.

المرأة التي لا تخدم زوجها في أثناء الأزمة تزيد الأزمة.

صاحب الدكان الذي يغلق دكانه في أثناء الأزمة يزيد الأزمة.

الموظف الذي لا ينزل إلى عمله في أثناء الأزمة يزيد الأزمة.

التاجر الذي لا ينزل إلى متجره ليربح أو يخسر في أثناء الأزمة يزيد الأزمة.

ولهذا كان العمل باباً من أبواب الفرج والحركة ولا أدل على هذا الباب من حديثٍ للنبي صلى الله عليه وسلم.

عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ، وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**» [البخاري].

فربط رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الهم والحزن وبين العجز والكسل دلالة على أن الكسل يزيد الهم، والعجز يزيد الغم، وقلة الحركة تزيد البلية والمصيبة.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [سورة الشرح].

قال الإمام السيوطي: (**نزلت لما عَيَّرَ المشركون المسلمين بالفقر**) [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي].

هذه السورة فيها أشياء عجيبة:

1- اسمها سورة الشَّرْح: وليس سورة الضيق أو الأزمة أو البلية أو المصاب أو الخطب الجلل مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في وسط المصاب والقلة والشدة.

2- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال الله: ﴿مَعَ﴾ وليس بعد، فالله خلق العسر وخلق معه اليسر، ففي هذه الشدة والأزمة لنكن واثقين أن الله خلق معها يُسْرها.

3- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ بتكرير العسر واليسر مرتين، إلا أن الأولى ﴿الْعُسْرِ﴾ معرفة لأنها محلاة بـ (ال)، والثانية ﴿يُسْرًا﴾ نكرة، وعلماء اللغة العربية يقولون: الاسم المعرفة إذا كررته فهو هو، والاسم النكرة إذا كررته فهو غيره.

عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 6] قَالَ: **خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَسْرُورًا فَرِحًا وَهُوَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»** ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 6].

4- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ هناك إشارة في هذه الآية أن في الأزمات والشدائد والبلايا تفرغ أوقات الناس؛ بسبب توقف العمل، فالله يرشدنا في هذا الفراغ أن نتعب بالعمل وأن نجعله تقرباً إلى الله تعالى سواء كان عملاً مأجوراً أو تطوعياً لوجه الله تعالى.

في السنتين الماضيتين أعرف أكثر من عشرين شخصاً حفظوا القرآن الكريم كاملاً، ومئات من الشباب والبنات ازدادوا في حفظ القرآن الكريم أجزاء.

قال لي أحد الإخوة: في هذه الأزمة أصيب بيتي وعملي لكني أشعر بامتلاء قلبي حباً لله تعالى، وأنني أقرب إليه؛ لأن الله عرفني على مجالس العلم والعلماء، فالتزمت ذكراً وعبادة وطاعة لله تعالى حامداً إياه على ما أصابني.

جاء في بعض القراءات: ﴿فإذا فرغت فانصُب﴾ بضم الصاد، أي أنْصُبْ قدميك في طاعة الله تعالى بين تهجد وصلاة.

قال العلماء: الإيمان حركة، والمؤمن ما أن يؤمن حتى يتحرك.

وعلى هذا جاء تعريف الإيمان أنه: **ما وقر في القلب وصدقه العمل.**

وقالوا: **الإيمان اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان.**

قال الإمام البخاري: **الإِيمَانُ قَوْلٌ وَفِعْلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [صحيح البخاري].

فيزيد الإيمان بالأعمال الصالحة، وينقص بالأعمال السيئة، ولأجل هذا جاء لفظ ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في القرآن خمسين مرة.

فيجب على كُلِّ أخ أن يفكر بما عليه من مساعدة الآخرين، سواء كانت المساعدة بالمال أو بالمساواة أو بالدعاء أو بالمعاونة فمن لا يعلم كيف يعمل فليقم ليتعلمه، حتى إذا رآنا الله نعمل بارك بما معنا وزادنا.

وقالوا من قبل: الحركة بركة.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (**مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: إِذَا كَانَ فِي الْبَيْتِ بُرٌّ فَتَعَبَّدْ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَاطْلُبْ، يَا ابْنَ آدَمَ حَرِّكْ يَدَكَ يُسَبَّبْ لَكَ رِزْقُكَ**) [أدب الدنيا والدين للماوردي].

قال الله للسيدة مريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: 25].

قال الله لامرأة ضعيفة حامل لديها من الهم ما الله به عليم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ﴾ ولم يقل: الغصن؛ معلماً إيانا أن نعمل ونبذل ونعمل مهما كان حالنا.

قال الفقهاء: **الحركة تولد الفقه.**

عناوين المواد الفقهية الرئيسية هي في أحكام الطهارة والصوم والزكاة والحج والزواج والطلاق والبيع والشراء والمرافعات القضائية والسياسة الشرعية، لكن لما تحرك الناس ظهرت مسائل جديدة لم تكن في الماضي فاحتاج الفقهاء لدراسة حكمها الشرعي بالبحث وإقناع الناس **ومثال ذلك:**

حكم طفل الأنابيب:

لما ظهرت هذه المسألة قام العلماء بالبحث مفصلاً حتى خرجوا بأن لطفل الأنابيب ست صور كلها محرمة إلا واحدة، وأقيم لهذه المسألة مؤتمرات ومجامع فقهية حتى خرجت مادة قوية فقهية وسبب ذلك هو الحركة.

حكم الإجارة المنتهية بالتمليك:

وخلاصة هذه المسألة: أن رجلاً يريد أن يشتري بيتاً ولا مال له، فصنع له الفقهاء معاملة فقهية جائزة بأن يشتري المقرض له بيتاً يعجبه على أن يدفع المستأجر في كل شهر مبلغاً معيناً على اتفاق أن هذه الإجارة لعشر سنوات وفي آخر العشر السنوات يدفع المستأجر للمؤجر مبلغاً بسيطاً لينتقل البيت إلى ملكه، ولهذه المسألة ضوابط يرجع إليها، وما حكمنا بهذه المسألة إلا بسبب الحركة واحتياج الناس لها.

هناك فقه كامل سماه الفقهاء فقه النوازل:

في الطب العضو الذي لا يعمل يمرض وربما يموت، فلو ربط أحد يده لشهرين من غير حركة لجفت العروق وضمرت العضلات وتيبست المفاصل، وضعفت اليد والسبب هو عدم الحركة، وفي طب الأسنان الطرف الذي لا تأكل عليه يمرض.

فلا تقعد بلا عمل لأنك ستمرض وتمرضنا معك.

العمل يولد الأمل ويثبته، والكسل يورث الضجر في الأوقات عامة وفي الأزمات خاصة.

اليأس هزيمة وموت، والأمل انتصار وحياة.

نفوس الحكماء لا تقبل الهزائم، فصحيح أن الهزائم قد تقع في أموالهم وأجسادهم وأتباعهم لكنها أبداً لا تقع في عزائمهم وهممهم.

سيدنا يعقوب فقد ابنه أربعين سنة ثم يقول ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

فإذا كان الإيمان والفقه والصحة والأمل عملاً؛ فليقم كُلٌّ منا ولا يتثاقل ولْيتحرك ولا يتبارد وليبذل ما استطاع ثم ليتوجه إلى الله تعالى ليعجِّل لنا بالفرج، وكما قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.